رأي

هل أنت « استراتيجي » أم « تكتيكي » ؟

بقلم د. صلاح الدين النكدلي

يستخدم أهل الغرب مصطلحين لهما دلالات في الفكر وفي واقع الناس ؛ **الأول** : مصطلح « **الاستراتيجية** » **والثاني** : مصطلح « **التكتيك** » ، ويعنون بالأول « **الاستراتيجية** » : **السير** في **العمل الفردي والجماعي وفق خطة مترابطة ومنسجمة مع الأهداف الآنية والمستقبلية** ، فيقولون مثلا : « فلان صاحب رؤية استراتيجية » و « هذه مرحلة في الاستراتيجية المعتمدة » و « استراتيجيتنا تنص على كذا وكذا » .. وهكذا .

ونظراً إلى الحاجة الماسة إلى « الفكر الاستراتيجي » و « العمل الاستراتيجي » فقد كثرت وتنوعت مراكز الدراسات الاستراتيجية ، التي تقدم خدماتها للحكومات ، والأحزاب ، والمؤسسات ، والأفراد ، وأضحى هذا المصطلح يحمل معاني إيجابية عند الإثبات ، كما ذكرنا في الأمثلة السابقة ، ويحمل أيضاً قيمة سلبية عند النفي ، فيقال مثلاً : « فلان يفتقر إلى الاستراتيجية » أو « إنّ عقله غير استراتيجي » ويقصدون بذلك أنه فعال منتج ، ولكنه لا يلتزم في عمله بخطة ، ويفتقر إلى النظرة المستقبلية ؛ فهو لا ينظر إلى ما يقوم به اليوم في ضوء مآلات الأمور في الغد .

أما المصطلح الثاني « **التكتيك** » فيعنون به : **التفاعل مع الواقع ومتغيراته على أساس التصرف الآني ، بحيث يدفع ما يرى أنه مفسدة ، أو يجلب ما فيه مصلحة ، وهذا التصرف ربما أفاد** في **الحال ، وكان مدمراً** في **قابل الأيام** . فالإنسان « التكتيكي » يفتقر إلى التمرس بـ « فقه الأولويات » و « فقه الموازنات » و « فقه المآلات » أو « استشراف المستقبل » . فإذا أسفرت اختياراته عن إخفاق أو دمار ، فإنه يسارع إلى تجريم الآخرين أو يتهم الظروف ، ويسوغ ضعف مواقفه وسوء قراءته للواقع وللمستقبل بأن اختياراته كانت مناسبة في ظروف اتخاذه القرار !! .

⌘⌘⌘

في ضوء كلامنا السابق يرد السؤال الآتي :

هل قيادات التيار الإسلامي « استراتيجيون .. أم « تكتيكيون » ؟

والذي يلوح لي في الجواب أن معظم القيادات ؛ الدعوية ، والتربوية ، والحركية ، والسياسية ، مصابون بـ « جزئية الرؤية » و « الافتقار إلى برنامج عمل ذي مراحل » و « ضعف القدرة على الاجتهاد » . وتستفزهم « الانتصارات أو الإنجازات الصغيرة » فيظنون في أنفسهم القدرة على اتخاذ القرارات المصيرية ، وقد تكون « طُعماً » وضعه خصومهم في فخ ليصطادوهم !! .

وحين تنكشف القرارات عن طامات مهلكات فإن « التبرير » حاضر ..

لا تلم كفي إذا السيف نبا صح مني **العزم والدهر** أبى
رب ساعٍ مبصر في **سعيه أخطأ التوفيق فيما طلبا**

ويغيب عن كثير من هؤلاء الفضلاء أن العلة في التكوين العاطفي الذي يطبع جمهرة القياديين المؤثرين .. ورحم الله أحمد شوقي حيث قال في مثل هؤلاء :

إنّ الشجاعة في **القلوب كثيرةٌ ووجدت شجعان العقول قليلا**

⌘⌘⌘

ولعل الإشارة إلى عدد من الصور المؤسفة التي تتكرر في الواقع تغني عن العبارة ..

١- قبل سنوات التقيت بإخوة قادمين إلى أوروبا من قطر عربي ، وتحدثنا عن قضايا تنال من قدرة التيارات الإسلامية على العطاء الأمثل ، وتمنع فصائل واعية من العمل المنهجي المدروس .. وذكرت لهم : إنّ أهم سبب يعطل الطاقات إنما يرجع إلى نوعية القيادات ، فالقيادة في معظم فصائل الحركة الإسلامية « **فردية ومزاجية** » حتى وإن كونت بعض الجماعات مجالس قيادية وشورية ، فما يزال « القائد الفرد » هو الذي يجتمع عليه أعضاء الجماعة ، وجميع الذين يحيطون به لا يحظون بالمكانة القيادية مهما كانت كفاءتهم . وقلت أيضاً : إنّ ظاهرة « الشيخ والمريد » تحكم الشيخ وتتحكم بالمريدين . قال أحد الحاضرين : إنّ هذه الظاهرة مزعجة لنا في البلاد العربية ، فهل استطعتم - وقد أقمتم في أوروبا سنوات طويلة - أن تتجاوزوا هذه المشكلة التربوية الثقافية ؟ . فأجبته : لقد سطرنا على الورق ما يفيد أننا تجاوزنا هذه الإشكالية ، ولم نمتحن بعد بما يكشف : هل الطبع يغلب أم التطبع ؟ ، إذ لا يخفى عليكم أن بعض طباع المرء تكتسب ، ولا أكتمكم أن هناك إشارات مزعجة ومقلقة في الممارسة !! .

٢- العمل الجماعي ثمرة الاقتناع القلبي العميق بواجب التعاون على البر والتقوى ، وهو سنة ماضية في المجتمعات الحية المعطاءة ..

والعمل الجماعي الناجح هو الذي يستجيب للواجبات ، ويختار من صور الترابط والتنظيم ما يجعله فعالاً في ظروف الزمان والمكان والإنسان ..

والعمل الجماعي هو الذي يجمع الطاقات والإمكانات لتحقيق الأهداف الجليلة للأمم ، وبدونه لا تنهض المؤسسات في المجتمع .. ولذلك يتصدى الحكام المستبدون وأعوانهم لكل عمل جماعي محاولين ؛ احتواءه ، أو تشويهه ، أو ضربه وتفريقه ..

وقد تمكن الطغاة المحليون والدوليون - في السنوات الأخيرة - من توصيل رسائل إلى الفئة الحية من المسلمين ، وذلك عبر الإغراءات والمخاوف والإعلام ، ومفادها : إذا أردتم النجاة من المساءلة ، والإهانة ، والقلق ، والعقاب ، والتصفية .. فابتعدوا عن العمل الجماعي ، وتخلوا عن « فكرة التنظيم » ، لأن العمل الإسلامي المنظم تسييس للدين ، ثم إنّ هذه الصور من العمل الجماعي الموجودة في العالم الإسلامي ، إنما كانت رد فعل على إلغاء الخلافة العثمانية وعلى علمنة الدولة الحديثة التي أوجدها الاستعمار الأوروبي في بلاد المسلمين بعد تمزيقها ..

اقتنع بتلك المقولات وأمثالها عاملون في مجال الدعوة والتربية ، ودعاة بذلوا عقوداً من الاهتمام والجهود رافعين شعار « **نعم للتغيير ولا للإصلاح الجزئي** » . وإذا بناس من هنا وهناك يتبنون التخلي عن التنظيم والعمل الجماعي ، ويسوغون ما ذهبوا إليه بالحكمة ، ونقد الذات ، والمعاصرة ، وبأن تكاليف العمل المنظم باهظة جداً إذا قارناها بإنجازاته المتواضعة .. إلخ .

في هذه الأجواء من الفتن الحبلى بالشبهات يصاب ركن من أركان العمل الاستراتيجي « العمل الجماعي » في مقتل ، وتتحول الطاقات إلى ألوان من « التكتيك » لكي تحافظ على نوع من الاستمرار في الوجود الباهت ، لأن العمل الاستراتيجي يرفض منطق الفردية في التفكير والتنفيذ ، والعفوية في التعاون ، وافتقاد « البوصلة » التي توجه المسير ..

⌘⌘⌘

٣- إنّ الأهداف المحددة والواضحة شرط أساسي للنجاح ، وكلما كانت الأهداف واقعية فإنها تساعد الناس على فهمها والالتفاف حول الداعين إلى تحقيقها ، والأهداف الواضحة تغذي «

الفكر الاستراتيجي » الذي يرمي إلى « تجديد **الإسلام وبعث المسلمين** » و « **إحياء العمل بأحكام الشريعة** في **حياتهم الفردية والجماعية** » ، وهذا يقتضي : ترشيد الأمة والنهوض بأبنائها ليقوموا بواجب الشهادة على الناس قولاً وفعلاً ، وهدايتهم إلى صراط العزيز الحميد ..

إنّ فصائل الحركة الإسلامية مجمعة على ضرورة « **التجديد** » و « **الإحياء** » و « **الترشيد** » و « **النهوض** » و « **التغيير** » و « **الشهادة على الخلق** » ، وكان الذي يميز فصيلاً عن آخر الواجبات التي يركز عليها في الواقع كل فصيل ، وما يتصدى له من التحديات ، وهذه المعاني الجليلة كانت وراء تحريك القلوب والجهود لتلتقي في ساحة العمل الجماعي الضروري لتحقيق التغيير المنشود .

فلما أضحت هذه المعاني باهتة في عقولٍ وقلوبٍ ، بفعل « الاخفاقات التي سببتها الاجتهادات العاجزة » و « الانفعالات المتعجلة » و « التخلف في إدارة العقول والجهود » و « المخاوف الهاجمة والشهوات الهائمة » .. إذا بناس مخلصين يتمسكون بالألفاظ ، ولكنهم يهربون من العمل الجماعي الذي يطرح صوراً لواجبات تسهم في حمل راية الإسلام ، وتبليغ رسالته ، وأداء الأمانة ، وهذا الهروب جذب دعاة مخلصين من ساحة العمل الاستراتيجي وقذف بهم في مجال « التكتيك » ظانين أنهم محسنون .

⌘⌘⌘

وبعـد

فإن الساحة الإسلامية بأمس الحاجة إلى مراجعة نقدية عميقة للعمل الجماعي ، بحيث تستوعب هذه المراجعة « **الأهداف** » و « **الواجبات** » و « **الوسائل** » ، وأن تختار من أشكال التنظيم ما يرسخ جماعية التفكير والتنفيذ .

ويجب أن يضع العاملون في مجال الدعوة إلى الله عز وجل أيديهم على الأسباب الحقيقية للإخفاق ، فقد آن الأوان لأن يدركوا أن عدم التزامهم بـ « **السننية** في **العمل** » هو المسؤول عن الاضطراب والعثرات والعفوية التي تفتك بالجهود وتشوه الرؤية وتقزم الأهداف ، وهذه تفضي إلى البعد عن « العمل الاستراتيجي » وتقنع كثيرين بـ « التكتيك » .